



# لَهُمُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ !..

حديث للكاتب  
محمود درويش

● نشرت صحيفة « زو هديرخ » الاسبوعية، الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الاسرائيلي باللغة العبرية، حديثا صحفيا طويلا مع الشاعر محمود درويش، في عددها الصادر في ١٩ - ١١ - ١٩٦٩ . كان الحديث اول لقاء مباشر بين محمود درويش والقارئ العبري ، وقد تناول عدة جوانب من حياة الشاعر وقضيته ، وخاصة ما يتعلق بالعلاقات العربية - اليهودية .  
اجرى الحديث الصحفي المحرر فسي « زو هديرخ » يوسي الفازي ، ونشره بطريقة « مونولوج » .  
وفيما يلي ترجمة هذا الحديث كما نشرت في مجلة « الجديد » العربية التي تصدر في الارض المحتلة ( حيفا )

فاطفولة الخالية من المتاعب - انتهت . واحسست فجأة اني انتمي الى الكبار . توقفت مطالبي وفرضت عليّ المتاعب . منذ تلك الايام التي عشت فيها في لبنان لم انس ، وإن أنسى الى الابد ، تعرفي على كلمة الوطن . فلاول مرة ، وبدون اعتماد سابق ، كنت اقف فسي طاور طويل لاحصل على الغذاء الذي توزعه وكالة الفوث . كان الوجبة الرئيسية هي الجبنة الصفراء . وهنا استمعت ، لأول مرة ، الى كلمات جديدة فتحت امامي نافذة الى عالم جديد : الوطن ، الحزب ، الاخبار ، اللاجئون ، الجيش ، الحدود ، وبواسطة هذه الكلمات بدأت ادرس وافهم واعرف على عالم جديد ، علسى وضع جديد .. حرمني طفولتي .

بعد اكثر من سنة ، عشت خلالها حياة لاجيء ، ابلغوني ذات ليلة اننا سنعود غدا الى البيت . اذكر جيدا اني لم اتم في تلك الليلة .. لم اتم من شدة الفرح . فالعودة الى البيت تعني - بالنسبة لسي - نهاية الجبنة الصفراء ، نهاية تحرشات الاولاد اللبنانيين الذين كانوا يشتمونني بكلمة « لاجيء » المهينة .

.. وخرجت الى رحلة العودة . كان الظلام مخيما على كل شيء . وكنا ثلاثة : انا ، وعمي والدليل الذي كان يعرف مجاهل الدروب في الجبال وفي الوديان . اني اذكر الزحف على البطون لكي لا يرانا احد . وبعد رحلة مضنية ، وجدت نفسي في احدى القرى . ولكن ما اشد خيبة املني : لقد وصلنا الى قرية دير الاسد ، وهي ليست قريتي . لا بيتي هناك ولا زقاقي . سألت : متى تعود الى قريتنا .. الى منزلنا . ولم تكن الاجوبة مقنعة . ولم افهم شيئا .. لم افهم معنى ان يكون القرية مهدمة .. لم افهم .. معنى ان يكون عالمي الخاص قد انتهى الى غير رجعة . لم افهم لماذا هدموا هذا العالم .. ومن هم اوئك الذين هدموه !

ورويدا رويدا امتدت على حياة الكبار ، وقضايا الكبار . واتضح لي - بمنتهى خيبة الامل - اني لم اعد الى منبع الاحلام ، لم اعد الى زقاق الطفولة . كل ما في الامر هو ان اللاجيء قد استبدل عنوانه

تعرفت على محمود درويش ، لأول مرة ، عندما كان يلقي من شعره امام الجمهور . انشد كان يلقي قصيدته التي تحولت ، في نظري، الى يطاقته الشخصية : « سجل : انا عربي » . لقد هز محمود انجيل جمهور المستمعين واثاره ، وحوله الى موجة عارمة تحطم السدود . اي تناقض بين الاثنين : القصيدة والمبدع ! . لقد جاء التناقض من الكلمات التي خرجت من فم محمود . انشد اصبح محمود درويش شاعر الشعب العربي الفلسطيني . ترجمت قصائده الى اللغات : الفرنسية ، والانجليزية ، والروسية ، والاطالية ، والبلفارية . ولكنها لم تترجم الى اللغة العبرية . واصبحت مجموعاته الشعرية من اكثر الكتب مبيعا ، لا في اسرائيل فحسب ، بل في البلدان العربية ايضا .

قبل عدة ايام ، اطلق سراحه من سجنه الرابع . لماذا اعتقل وسجن ؟ ان محمود درويش وشعره شوكه فسي عيون السلطة . لقد فررت تقديم محمود درويش الى القارئ العبري بكلماته . ولذلك ، فاني انشر بصورة مونولوج ، الاشياء التي قالها في حوار ليبي جسر بيننا بعد اطلاق سراحه من السجن بثلاثة ايام .  
هذا هو محمود درويش :

اذكر نفسي عندما كان عمري ست سنوات . كنت اقيم فسي قرية جميلة وهادئة ، هي قرية البروة الواقعة على هضبة خضراء ، ينسبط امامها سهل عكا . وكنت ابنا لاسرة متوسطة الحال عاشت من الزراعة . عندما بلغت السابعة ، توقفت ألعاب الطفولة . وانسي اذكر كيف حدث ذلك .. اذكر ذلك تماما : في احدى ليالي الصيف ، التي اعتسدت فيها القرويون ان يتاموا على سطوح المنازل ، ايقظتني امسي من نومي فجأة ، فوجدت نفسي مع مئات سكان القرية اعدو في الغابة . كان الرصاص يتطاير من على رؤوسنا ، ولم افهم شيئا مما يجري . بعد ليلة من التشرذم والهروب وصلت مع احد اقاربي الضائعين فسي كل الجهات ، الى قرية غريبة ذات اطفال آخرين . تساءلت بسداجة : اين انا ؟ وسمعت للمرة الاولى كلمة « لبنان » .

يخيل لي ان تلك الليلة وضعت حسدا لطفولتي بمنتهى العنف .

بعضون جديد . كنت لاجئاً في لبنان ، وانا الان لاجيء فسي بلادي .  
والان ، عندما اتحدث اليك ، وانا في الثامنة والعشرين من العمر ،  
فانني قادر على تقويم تلك الفترة . اذا اجرينا مقارنة بين ان تكون  
لاجئاً في المنفى وبين ان تكون لاجئاً في الوطن ، وقد خربت النوعين  
من اللجوء ، فاننا نجد ان اللجوء في الوطن اكثر وحشية . العذاب  
في المنفى ، والاشواق وانتظار يوم العودة الموعود - شيء له ما يبرره  
.. شيء طبيعي . ولكن ان تكون لاجئاً في وطنك ، فلا مبرر لذلك ، ولا  
منطق فيه . وعندما نتقدم قليلا في السن نتخلص من الفصاة ، ونشعر  
ان الوجود هنا اكثر تبريرا . عندها يتدخل عنصر النحدي ، وعامل  
الوعي والبحث عن حل . وقد عثرت على الحل في سن لاحقة ، عندما  
انتهى الصبا ، وادركت ان ثمة حاجة الى الانتماء ، لا الانتماء السلبي  
العادي ، بل الانتماء الفعال .. الانتماء للموس والسياسي . ومن  
الطبيعي ، ان السياسة تقضي على الحساسية المفرطة وعلى التمسك  
المواصل ببقايا الذكريات وبوسعي ان اقول الان ان وضعي الراهن  
اسهل . ولكن المواجهة النفسانية الداخلية تشود في عندما اجلس  
لكتابة الشعر . عندها يجري الحوار بين احساس الفنان وبين الوعي  
السياسي . وانا اعتقد ان الفنان يجب ان يكون عاريا امام نفسه .

\*\*\*

ومن حسن حظي ، ظهرت في حياتي صورة اخرى مناقضة للحاكم  
العسكري . بعد ذلك الحادث ببضعة شهور ، انتقلت الى الدراسة في  
مدرسة كفر ياسيف الثانوية . هناك التقيت بشخصية يهودية اخرى  
تختلف تمام الاختلاف ، هي المعلمة شوشنه التي لا امل الحديث عنها .  
لم تكن معلمة . كانت اما . لقد انقذتني من جحيم الكراهية . كانت  
- بالنسبة لي - رمزا للخدمة المخلصة التي يقدمها يهودي طيب لشعبه .  
لقد علمتني شوشنه ان افهم التوراة كعمل ادبي ، وعلمتني دراسة  
بباليك بعيدا عن التحمس لانتمائه السياسي ، وانا لحرارته الشعرية .  
لم تحاول ان تعبتنا بسموم البرامج الدراسية الرسمية التي ترمي الى  
دفعنا للتفكير لترائنا . لقد انقذتني شوشنه من الحقد الذي ملاني به  
الحاكم العسكري . لقد حطمت الجدران التي اقامها ذلك الحاكم .

\*\*\*

قبل عدة اسابيع ، عقدنا - نحن محرري الصحف الشيوعية  
العربية - مؤتمرا صحفيا في حيفا . تصرف بعض الصحفيين بدون  
لياقة اذا استخدمت الكلمة اللينة ، وبدون فهم لمشاعرنا وقضايانا .  
وفي مجرى الحديث قلت لاحد الصحفيين ان صحيفة « عل هشمار »  
نشرت في ذلك الصباح خبرا بارزا عن الاحتفالات بمرور عشرين سنة  
على انشاء كيبوتس « يسعور » . جاء في الخبر ان الفرح بهذه المناسبة  
لم يكن له مثل . وقلت للصحفي : يوسفني ان اقول لك الحقيقة - انا  
افهم فرحك ولكنني عاجز عن مشاركتك فيه . لماذا ؟ لان هذا الفرح  
قائم على اطلالي . فسان كيبوتس « يسعور » ومستوطنة « احيهود »  
مبنيان على انقاض قريتي .. على انقاض حارتي وبيتي . ذلك ينتمي  
الى الماضي ؟ ولكنه محفور في اعماقي !

عندما عدت من لبنان ، حذرني اهلي من «خطورة» رغبتني في زيارة  
المكان الذي ولدت فيه وقضيت طفولتي ، فاذا انفي القضي علي هناك،  
ساطرذ الى لبنان . وهكذا لم ازر المكان الا عام ١٩٦٣ . كانت زيارة  
سرية لان دخول تلك المنطقة ممنوع . ولم اجد من كل القرية الا مبنى  
الكنيسة الذي تحول الى اصطبل . ان ما رأيته في ذلك المكان المهجور  
يفسر لك لماذا كانت هذه هي زيارتي الاولى والاخيرة . فنشئت عن مرتع  
طفولتي فلم اجد الا الاشواك ، لا منزل ولا شيء الا الشوك . لن اعود  
الى ذلك المكان . وكانت الزيارة بمثابة حج . قمت بتأدية هذه الفريضة  
مع مجموعة من الاصدقاء ، من ابناء القرية . خلدنا الى الصمت التام  
طيلة تلك الزيارة وبعدها . التقينا هناك براعي اغنام من اليمن يقيم  
في مستوطنة « احيهود » . قلت له : لقد اصبحنا ابناء قرية واحدة !  
لم يفهم ما اعنيه ، ولم تكن بي رغبة في التفسير .

\*\*\*

\*\*\*

عندما عدت الى دير الاسد ، كنت في الصف الثاني . كان مدير  
المدرسة انسانا طيبا . وانا اذكر عندما كان يزور المدرسة مفتش وزارة  
المعارف ، كيف كان المدير يستدعيني ويخبرني في غرفة ضيقة . فقد  
كانت السلطات تعتبرني « منسللا » وكان المعلمون يرغبون في الدفاع  
عني . لقد اضاف ذلك الحادث كلمة اخرى الى قاموسي الخاص ، الى  
قاموس الحياة : كلمة « منسلل » . وكلما كانت الشرطة تأتي الى القرية،  
كانوا يخبروني في خزانة او في احدى الزوايا ، لانه من المحظور علي  
ان اعيش هنا .. في وطني . لقد منعوني من الادلاء بهذا الاعتراف :  
« كنت في لبنان » . وعلموني القول اني كنت لسدي احدى القبائل  
البدوية في الشمال . وهكذا فعلت لكي احصل على بطاقة الهوية  
الاسرائيلية . ولكنني لا ازال - حتى اليوم - محروما من الجنسية  
في وطني !

واعتربت تلميذا متفوقا . كنت اكثر من مطالعة الادب العربي .  
وقللت الشعر الجاهلي في محاولاتي الشعرية الاولى .

واليوم ، يبدو من المستهجن ان اكشف النقا بالاول مرة : اني كنت  
موهوبا آنذ في الرسم . ربما كنت في ظروف وملابسات اخرى اتطور  
كرسام لا كشاعر . وقد تضحك عندما تعرف لماذا توقفت عن الرسم .  
السبب في منتهى البساطة : لم يملك والدي قدرا من المال يتيح لسه  
امكانية ان يشتري ما احتاجه من ادوات الرسم . لقد زودني بدفاتر  
الكتابة بشق النفس . انني ذلك كثيرا ، فبكت وتوقفت عن الرسم .  
وعندها حاولت التعويض عن الرسم بكتابة الشعر . وكتابة الشعر  
لا تتطلب نفقات مالية !

كانت مواضيع محاولاتي الشعرية الاولى وهي مشاعر الطفولة .  
وكنت احاول الكتابة ، احيانا ، عن مواضع ذات وزن ، كانت اكبر من  
طاقتي في تلك السن . شجعني المعلمون على الكتابة . ولا ازال حتى  
اليوم مدينا لبعضهم - ومن بينهم معلم شيوعي هو نمر مرقس - قاموا  
بتوجيهي وساعدوا خطواتي الاولى في الشعر .

\*\*\*

لقد خلق لي شعري المتاعب منذ البداية . ودفني الى الصدام  
مع الحكم العسكري . واذا اردت مثلا على ذلك : كنت طالبا في الصف  
الثامن عندما احتفلوا بمناسبة اقامة دولة اسرائيل . وقد نظموا  
مهرجانات كبيرة في القرى العربية باشتراك تلامذة المدارس في هذه  
المناسبة . طلب مني مدير المدرسة ان اشترك في مهرجان عقد في قرية  
دير الاسد . وعندها ، ولاول مرة في حياتي ، وفقت اسماء البيكروفيون  
وبالبنطون القصير ، وقرات قصيدة كانت صرخة من طفل عربي الى

اسماءنا وقضايانا . بيد اني اريد ان افترض وجود شعراء مبدعين ، مثل يهودا عيمحاي وداليسة ريكوفتشي ، ذوي استعداد اولي لفهم امثالنا . عندما التفني بالحيرة النفسية لدى هذين الشاعرين وغيرهما ، احصل على حفنة من الامل ، وفي انه لا يزال في هذه البلاد من يحافظ على حاسة فهم الآخرين ! .

وينبغي عليّ ان اضيف انه بالإضافة الى كل المتاعب والعقبات ، هناك عقبة اللفة . اني افهم لماذا يحصل عدد كبير من الادباء اليهود على انطباع خاطيء عنا . انهم لا يعرفوننا . لا يقرأوننا بلغتنا الاصلية . وبهذا الصدد اجد نفسي عاجزا ! . ولكن ، لماذا لا نتعارف على الاقل ؟ لا اطلب منهم ان يحكموا على انتاجنا ، فالشرط الاول لهذا الحكم هو المعرفة ، وهم لا يعرفون . هذه القضية تشغل بالي . وانا لا امل تكرار دعوة الادباء اليهود الى التعرف على زملائهم العرب . وفي هذه المناسبة ، بودي ان الفت نظير القاريء العبري - وليس بدافع السخرية - الى حقيقة ان الكثيرين في اسرائيل يعرفون اسم الشعارة فدوى طوفان من نابلس الواقعة تحت الاحتلال الاسرائيلي منذ عامين فقط ، بينما لا يعرفون اسماء اشعراء العرب الذين يعيشون تحت الحكم الاسرائيلي منذ ما يزيد عن ٢١ سنة ! ان هذا السؤال موجه وخبيث . اعترف بذلك . ولكن حاولوا ان تفهموني . وانا لا اعاب الادباء اليهود المتعصبين ، اني اعاب الادباء الذين يريدون ان نسميهم ادباء تقدميين . من هؤلاء اطلب : تعالوا نتعارف ونتناقش ! .



بدا تعرفي على الادب الثوري والشيوعي ، خلال دراستي الثانوية . فرات « الاتحاد » و« الجديد » وغوركي ولينين . بحسب طريقي وظهرت نقطة ضوء في حياتي . في سنوات ذراستي الاخيرة شغلني كثيرا الحيرة الادبية . كيف اعبر عن نفسي . انا شاب انمي السى قومية معينة ، ولي فضايلا معينة . وفي الوقت ذاته اعيش في دولة اسرائيل . اريد العثور على حل لهذا السؤال : « هل من حكم القدر وجود تناقض بين هذين الانتمائين ؟ » . لا اخفي عليك ان هذا السؤال يتراءى ، امام النظرة السطحية ، بالغ السهولة . ولكنه سؤال شاق وخاصة للشباب . وانا لم اعثر على الجواب بسهولة . حللته على النحو التالي : « لا تناقض جوهرى بين الشعوب ، اذا قامت العلاقات بين الشعوب على اساس المساواة » . انت مدعو لان تكون بطلا ، من ناحية نفسية ، لكي تتغلب على هذا السؤال في ظروف بلادنا . وانا لا ادعي البطولة النفسية اذا قلت لك اني وجدت الحل ، فالتناقض ليس قدرا على الرغم من اننا يجب ان نفهم اولئك الذين يعتبرونه كذلك . اني احاول ، رغم الالام والمعذاب الناجمة عن الظلم ، المحافظة على اهم عناصر الانسان : ان اكون انسانا ، وان انجو من التعصب القومي . لا اقول ذلك نفاقا ، ولا لانني اتحدث اليك ، والى القاريء العبري بواسطتك . لا اتحدث بسداجة : انا لا اعادي اليهود . واقول لك بادراك تام ان الانسان - مهما كان لونه ومهما كانت قوميته - هو كنزى .

واريد ان اتباهى بانسانيتي ، بانني اول شاعر عربي عرض جنديا اسرائيليا ، حتى بعد حرب حزيران ، بجوهره الانساني . كيف حدث ذلك ؟ بعد حرب حزيران التي اعادت قتلي حافظت على انتمائي الانساني . كتبت قصيدة « جندي يحلم بالزنايق البيضاء » . والقصيدة هي حوار مع جندي اسرائيلي عاد من الحرب خائبا لانه فقد انتماءه الانساني . شربت معه اربع كؤوس خلال حديثنا عن الحرب وعن حبه الاول وعن همومه اليومية ، بدون ظل من الكراهية القومية . لقد وضع الجندي قلبه امامي ، وانا استقبله كصديق قبل الحرب . هاجمني ادب سوري بشدة ، على هذه القصيدة . اتهمني بانني اضلل الراي العام العربي والعالمى . وقال ان هذا الجندي موهوم . ولكنني سررت عندما قرأت كتاب احد النقاد الشباب البارزين هو رجاء النقاش . في كتابه عنى رد على الكاتب السوري بان الصراع في المنطقة ليس مع اليهود كبشر ،

انا افهم سوء فهم ذلك الراعي . . الشاب البسيط . ولكننى يشق عليّ ان افهم الاغلبية الساحقة من المثقفين اليهود المقيمين في اسرائيل . ويزيد من صعوبة فهمي كونهم شديدي الحساسية تجاه اي سوء يتعرض له اي مثقف يهودي في اية ناحية من انحاء المعمورة . ولكنهم لا يحاولون اجراء أي اتصال من الفهم مع زملائهم العرب في اسرائيل . اني اذكر مشاعر الاحراج التي داهمتني في اوروبا ، عندما سألني عدد كبير من ادباء العالم عن التأثير المتبادل بين الشعر العربي والشعر العبري في اسرائيل . واولئك الادباء الذين سمعوا عن الملاحظات التي يتعرض لها الشاعر العربي في اسرائيل ، كانوا معنيين بمعرفة الجبهة المشتركة بين هؤلاء المصطفدين وبين اكثرية زملائهم العبريين . اجد لزاما عليّ ان اؤكد هنا اني واجهت - بهذه الاسئلة - قضية جادة جدرة بالاهتمام والملاحظة ، لم تطرح في اسرائيل من قبل . وكان جوابي : « لا شيء » . ويؤسفني ان امثل الاديب المناضل مردخاي ابي شاول هم قلائل في اسرائيل . ويوحى من هذه الاسئلة كتبت افتتاحية في مجلة « الجديد » طرحت فيها هذه القضية التي تتطلب الاجابة . اريد ان اؤمن باننا سنحصل على الاجابة . اني لا اطمح الى التماثل والفهم التام من جانب زملائنا الشعراء والادباء اليهود . انسى اعود - بكل بساطة - الى التعارف . ادعو الى اذان صاغية ، ولا ادعو الى الموافقة المسبقة . من المخجل اننا لا نعرف شيئا عن بعضنا البعض . ان ما جرى في مؤتمر للكتاب عقد مؤخرا في فرنسا ، بين الوفد الاسرائيلي الرسمي ( حاييم غوري واهرون ميقد ) وبين كاتب لبناني قام بتوزيع بيان احتجاج على ملاحقة الشعراء العرب في اسرائيل ، هو بمثابة دعوة جديدة وملحة الى النظر بجديّة الى قضية العلاقات بين حملة الاقلام العبرية والعربية في اسرائيل . واني احتج هنا على الحلول السهلة التي يقترحها قسم من الصحافة الاسرائيلية باختراعها اسماء غير معروفة وعديمة القيمة لتمثل بها حركة الادب العربي في اسرائيل . واريد ان احتج ايضا على ظاهرة اخرى هي الطريقة التي يقدمون بها المثليين الحقيقيين للشعر العربي بصورة « حملة شمارات » و « معادين لليهود » !

ان الجهل التام بالادب العربي في اسرائيل ينبع من اعتبارات وحسابات سياسية بحتة ، مع انه ليس من المقبول الحديث عن السياسة والشعر في سياق واحد !! . ان اولئك الذين يسيطرون على ادوات الدعاية والنشر لا يريدون ان يقدموا للقاريء العبري حقيقة الادب العربي في البلاد . انهم يخافون مضمون هذا الادب . ويدركون ان وصول هذا الادب الى الجمهور اليهودي سيحطم حواجز . فالادب العربي هنا هو ادب احتجاج على وضع غير عادل ، كاي ادب احتجاج آخر في العالم . واذا كان من المتاح لسي ان استعير مثلا من ادب الاحتجاج العالمي المعاصر ، فسأذكر اسم « جيمس بلودوين » الزنجي الامريكي ، صاحب الكتاب الثير « لا احد يعرف اسمي » ، واعرف ان رنين هذا الكتاب ليس عذبا للاذن الاسرائيلية بسبب تشابه الواقعيين ، ولكن القلائل . . القلائل جدا في المجتمع الاسرائيلي هم الذين يعرفون

## سقوط اللقمة . .

ديوان جديد

لشاعر المقاومة في الارض المحتلة

سميح القاسم

٢٠٠ ق . ل

صدر حديثا :

ليس من حقي القول اني سعيد . من السخف ان ادعي بانني سعيد . ولكن مطاردتي للسعادة تمنحني السعادة . هذا هو - فسي رايب - مبرر وجود الشاعر منذ قام الانسان بالتعبير عن نفسه .

احاول المزج بين انتمائي القومي وانتمائي العالمي والانساني . واحاول ايضا ان اعق حاضري بخيرة العناصر الكامنة في الماضي ، وباجمل ما يظهر لي من المستقبل .

من الطبيعي ان تحترم شاعرا وتمجّب بشاعر وتحب اخر . كلنا نقدر شيكسبير على سبيل المثال . وكلنا نعجب بحكمت ونيرودا واودن . ولكن رغم اعجابي البالغ بالكثيرين من الشعراء ، الا انني احب لوركا . نعم ، انا احب لوركا حبا . لا اعتبر لوركا شاعرا مبدعا فحسب ، ولكنني اعتبره ايضا صديقي .

\*\*\*

● الكيرون من اصدفاني يتالمون من اجلي . هذه الملاحقات .. الاعتقالات واوامر الاقامة الجبرية التي تحدد حرية تجولي في وطني ، اصبحت جزءا من حياتي اليومية . ولكنني انظر اليها باستهناد يكاد يكون خبيثا . لست متوترا ولست مندحشا . اجلس في غرفتي ، كل مساء ويظريني ان ارتبط بالشمس ، لاني امنع من مفادرة البيت بعد غروب الشمس . منحوني شرفا كبيرا عندما ربطوا خطواتي بالشمس . اجلس في الفرقة ، اقرأ ، اسمع موسيقى ، وانتظر البوليس . وفي الساعة الرابعة بعد كل يوم ائبت وجودي في محطة الشرطة بائسامة حقيقية غير لئيمة دائما . وانا انظر الى ذلك برؤية شعرية : لقد تقاسمنا اليوم : لهم الليل ، والنهار لي . لا يحق لي الخروج في الليل ، وهم دائمو التجوال في الليل . وكل واحد منا يعرف ان النهار اجمل من الليل ، وضوء الشمس احلى من الظلام . فمن انتصر .. انا ام البوليس ؟

\*\*\*

● لا انا قبل الاستماع الى الحان ميكس نيودوراكيس . بيني وبينه حكاية : قبل ثلاثة اسابيع قرأت في الصحف الاسرائيلية ان ميكس قد اعتقل . كتبت قصيدة من وحي هذا الاعتقال ، عنوانها « ريتا .. احبيني » . كتبت في مقدمة القصيدة ان سبب اعتقال ميكس نيودوراكيس هو انه « خطر على امن الجمهور » . اضحكني ان الصحف الاسرائيلية وضعت هذه الجملة ضمن اقواس تعبيريا عن سخريتها من هذا الادعاء : « خطر على امن الجمهور » . ضحكنت ، لان هذه الصحف تنظر السى هذا الادعاء كامر بعيد عنها وبعيد عن حدود اسرائيل ! اني استمع الى الحان ميكس كل مساء واحس اننا صديقان . انا ايضا « خطر على امن الجمهور » . ولكنني لم انصور ان مصيري ، ذلك الاسبوع سيكون كمصيره . فعندما نشرت القصيدة في « الاتحاد » كنت انا فى الاعتقال لانني « خطر على امن الجمهور » !

ولكنه صراع بين العرب والصهيونية . وقال رجاء النفاش ان العالم لم يفهم عداء العرب لاسرائيل ، ولمح الى ان العقبة بين تفاهم العرب واليهود هي الصهيونية والاستعمار . وانا استغرب لماذا لا يستخلص الضمير اليهودي النتائج الحقيقية من تأثير الادب العربي الانساني في اسرائيل . انا نشهد ، في الونة الاخيرة ، ملاحقة ايجابية من العالم العربي للشعر العربي في اسرائيل . صحيح ، ان اغلبية الاسرائيليين تنظر الى هذه الحقيقة برؤية وتري فيها دليلا على موقف العرب السلبي . ولكنني انظر الى الامر من زاوية اخرى . ان هذا الاهتمام علامة على التغييرات الايجابية الجارية في النفسية العربية . العالم العربي يرى في الشعر العربي في اسرائيل رمزا للضمود ، رمزا لعدم الاستسلام ، ورمزا للامل . وقد كنا شهودا على النقد الذي تعرض له شعر القضية الفلسطينية المكتوب في البلدان العربية . كان النقد يقول ان اغلبية هذا الشعر تتميز برفع الشعارات التعصبة ، ولم يعرف كيف تجسد المسبيل الى القلب الاوروبي والى حاسة العدل الانساني . وقد وجد هؤلاء النقاد حلا لهذه المسألة في الشعر العربي المكتوب في اسرائيل . راوا فيه شعرا انسانيا يسمو على مشاعر الحقد والمزاج النفسي البدائي . وعبر عن ذلك بمستوى فني عال . وانا ، كشاعر عربي يحافظ على طابعه القومي العربي والانساني ، ارى في هذه الظاهرة كسبا للعقل السليم والاحساس المعافى ، وانتصارا للانسانية . لا يعنى ذلك اني صرت عدويا قوميا ، ولا يعنى ذلك اني اسلم باي شكل من اشكال القبن والظلم ، ولكن ذلك يعنى انني قادر على التمييز بين الانسان والسياسة .

يجري حوار بين الادباء والنقاد في العالم العربي حول تسمية حركة الشعر العربي في اسرائيل التي يمثلها بشكل بارز : سميح القاسم ، توفيق زياد ، وسالم جبران وانا . هناك من يسميها : شعر المقاومة . وكتب احد النقاد البارزين في القاهرة غالي شكري : يمكن ان نسمي هذا الشعر شعر مقاومة ، ولكن علينا ان نذكر ان نقطة انطلاق هؤلاء الشعراء هي الاعتراف بحق اليهود والعرب في العيش في فلسطين ، ولذلك من الاصح ان نطلق عليهم اسم : شعراء الاحتجاج والمعارضة .

\*\*\*

لا . انا لا اعتبر نفسي شاعرا ناصجا . لا اشعر بالرضا الفني . وانا احد الذين يعتقدون بان الفنان الذي يتوصل الى الرضا عن نفسه يفقد مبررات استمراره . صحيح انني نجحت في تحسين ادواتي الفنية ونجحت في فخر تناقضاتي ، ولكنني لا اشعر بالرضا الفني . اذا كان يشغلني في كل تجاربي الادبية ؟ قضية الحقيقة والعدل في حياتنا . انها تصبح قضية اكثر تمقيدا وتركيبا في هذا العصر المركب . ولكنني اتشبت بكل نقطة ضوء وسعادة في بحثي عن الاشياء التي تبرر قدرة الانسان على الضمود امام العذاب .

تأليف

الدكتور علي جواد الطاهر

اول دراسة مسهبة عن رائد القصة العراقية الحديثة الذي اثار اهتمام المستشرقين والباحثين بما انتجه من روايات وقصص مهدت الطريق لجميع كتاب القصة الحديثة في العراق  
صدر حديثا عن دار الآداب ، بيروت

محمود أحمد السيد  
رائد القصة الحديثة في العراق